جزيرة الجحيم

محمود سالم

جزيرة الجحيم

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

جزيرة الجحيم

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٠ ٣٠١٦ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ٢٠٠٥.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٣.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
مواجهات مبكرة!	١١
طلقات وانفجارات!	١٥
السباحة في الجحيم!	١٩
المفاجأة!	٢٣
أربع فقاعات!	٢٧
اللقاء المثير!	٣١
السقوط في جزيرة الجحيم!	٣٥

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

مواجهات مبكرة!

خمس فقاعات زجاجية شفافة مزدوجة بمحركات وأجهزة حديثة لاستخلاص الأكسجين من الماء، خمس فقاعات كانت تحوي فتاتين وثلاثة شبَّان هم: «هدى» و«إلهام» و«أحمد» و«عثمان» و«مصباح».

وإلى أين الرحلة وفي أي مياه؟

كانت الرحلة في مياه البحر المتوسط على عمق أكثر من خمسين مترًا من المياه، في اتجاه الشاطئ المغربي.

ولماذا؟

نعم لماذا؟ إنه سؤال مهم وخطير. فتحت الماء تكثر المهام، وقد كانت لهم من قبل مهمة خطيرة تحت الماء مع وحش الأعماق، أما اليوم فمهمتهم كانت لإنقاذ الحياة البحرية والبرية على السواحل الإفريقية للمتوسط.

وهل يهدد الحياة البحرية والبرية خطر ما؟

نعم؛ فقد تسربت كمية كبيرة من زيت البترول الخام، من ناقلة عملاقة، كانت عائدة للموانئ الإسبانية فكوَّنت بقعة كبيرة في حجم جزيرة صغيرة تحركت مع الرياح في اتجاه الشواطئ المغربية.

ومَن يعرف؟ فالرياح كل يوم في شأن، وحركة الأمواج أيضًا، مما يهدد بقية شواطئ دول الشمال الإفريقي.

ولكنها مهمة صعبة للغاية، وتحتاج إلى معدات ضخمة وشركات متخصصة لإذابة هذه البقعة، وسحب ما تبقى منها، وما يمكن سحبه.

فماذا يفعل الشياطين هنا؟

هذا هو السؤال، وهذه هي المهمة!

الإجابة على لسان «أحمد» حيث أخبر بها رقم «صفر» قبل أن يخرجوا لأدائها؛ حيث قال له: نحن لن نتدخل في عملية الإنقاذ، لكننا سنراقبها.

وفهم رقم «صفر» من كلامهم أن هناك خطرًا من القائمين على هذه العملية فقال له: هل وصلتكم أنباء عنهم؟

ولم يكن «أحمد» يحتاج لأنباء؛ لأنه كان يعرفهم، فهذه المعدات تحمل اسمًا لشركة تملكها مؤسسة «سوبتك» التي عملت على محاربة منظمة الشياطين في كل مكان، مؤسسة «سوبتك» التي عملت على تشويه صورة العرب، ومحاربة وجوده في أية دولة من الدول المتقدمة؛ من الولايات المتحدة الأمريكية، حتى أصغر دولة في أوروبا.

وقد كان للشياطين معها مواجهات عدة في أكثر من عملية منذ المهمة المستحيلة، مرورًا بشبكة الموت وثورة الأخطبوط وانتهاءً بسقوط حاكم الجزيرة، لهذا لم ينتظر حتى تصل عنهم أنباء، بل بادر بإعداد ملف العملية، ثم طلب بتجهيز معداتها، وأخيرًا أصدر الأمر بتكليف مجموعة من الزملاء ممَّن رآهم يصلحون لهذه المهمة، وكان مهمًّا أن يكونوا من دول الشمال الإفريقي التي تقع فيها هذه الأحداث.

ولماذا إذَن وجود «عثمان» وبلده «السودان» لا تقع على البحر الأبيض المتوسط؟ إنه سؤال وجيه؛ ولكن إذا عرفنا أن «عثمان» هو القطب الآخَر لـ «أحمد» في نجاح إدارة المهام الصعبة؛ لاقتنعنا بوجوده معهم.

خمس فقاعات انطلقت من جزيرة «ليلى» القريبة من سواحل «المغرب»، والمتنازع عليها بينها وبين «إسبانيا»، فقامت بجولة استمرت خمس ساعات عادت بعدها تحمل أنباءً متفرقة ومعلومات مختلفة قد يشكِّل مجموعها نواة لملف العملية يحددون على ضوئها مساراتهم في بقية المهمة؛ لذلك كان مهمًّا أن يعقدوا اجتماعهم في نهاية اليوم في «كازبلانكا» على ساحل البحر؛ حيث أُعد لهم خِصِّيصَى مقر إقامة مؤقت؛ تكلفت بإعداده إدارة العمليات الخارجية.

وبعد أن تناولوا غذاءهم، حصل كلٌّ منهم على مقدار ما يحتاجه من نوم، ثم جلسوا في قاعة تفصل بين جناحيهم، فأحضر كلٌّ منهم الكاميرا الرقمية التي قام بتصوير الفيلم بها وقاموا بإيصالها تباعًا بمخرج كارت الشاشة في كمبيوتر «أحمد» المحمول، واستحضروا ملفات نظام التشغيل وانتقلوا منه إلى مجموعة البرامج المساعدة، فاستحضروا منها ملف الفيديو، وبالتنقل بين مجموعة من الأوامر بدأ عرض ما قام الكمبيوتر بتخزينه من ذاكرة الكاميرات، وكانت «هدى» تعدُّ لهم شايًا عربيًّا، فنادتها «إلهام» تتعجلها حتى لا يفوتها

شيء من الفيلم ويضطرون لإعادته مرَّة أخرى، فدخلت عليهم وهي تحمل صينية بها الكثير من الأكواب الفارغة وبيدها الأخرى إبريق زجاجي شفاف، يحكي الشاي بداخله عن مهارة صناعته.

وعلت السعادة وجهها وهي تسمع عبارات الاستحسان والشكر من زملائها؛ إلا أن «عثمان» لا يترك مناسبة كهذه دون أن يعلن عن قدراته التي لا تضاهى في المشاغبة، فقال لها: هذا شاي ناقص!

فتغيرت ملامحها وبدا عليها الانزعاج وقالت له في قلق: ما الناقص فيه؟

فقال في شقاوة: الحلوى من فطائر وخلافه.

– هل في معدتك مكان للحلوى؟

وقبل أن يجيبها كانت «هدى» قد تركت إبريق الشاي يقبع بجوار الصينية والأكواب على مائدة الوسط، وعادت إلى المطبخ للحظات، ثم ظهرت مرَّة أخرى وفي يدها علبة مصنوعة من سعف النخيل، وبها تمر جاف علقت عليه وهي تضعه أمام «عثمان» بقولها: إنه هدية «رشيد» لنا.

فصاح «أحمد» قائلًا: أوه إنه تمر عراقي!

فعقبت «إلهام» قائلة: ما أحلى تمور «العراق»!

وهنا قالت «هدى» في أسًى: حمى الله «العراق» ونخيلها من أعدائها.

ومد «مصباح» يده فضغط على زر بالكمبيوتر وهو يقول: فلنبدأ!

وما إن قالها حتى اصطدم جسم ضخم بباب المخيم فأطاح به، وصاحوا جميعًا في دهشة! فقد كان هذا الجسم سيارة جيب مفتوحة، ولم تتوقف عند هذا، بل استكملت جريها مُحطمة كلَّ ما قابلته في طريقها، وجرى الشياطين يغادرون الخيمة قبل أن تصطدم بموقد الغاز، وما انتظروه حدث … فقد دوَّى صوت انفجار الموقد، أعقبه صوت انفجار هائل، وتطايرت شظايا المعسكر والموقد والسيارة، ومن حولهما افترشت النار أجواء المكان؛ فتسابقوا إلى سيارتهم «الجراند شيروكي» فاستقلوها وانطلقوا في ظلام الليل على هدى نور كشافات السيارة، والريح تصفر من حولهم، وكان «أحمد» خلف عجلة القيادة لا يعرف إلى أين يتجه، وعندما سألته «إلهام» قائلة: إلى أين تقودنا يا زعيم؟

مرَّت فترة صمت قصيرة قبل أن يقول لها: ما رأيكم أنتم؟

أثارت إجابته «عثمان»، فاندفع يقول له: لماذا تسألنا عن رأينا وأنت تقود السيارة إلى اتجاه حدَّدتَه مسبقًا؟

نظر له «أحمد» معاتبًا؛ فليس هذا وقت الدخول في مناقشات جانبية، ثم قال له: أنا لم أجِد شيئًا، أنا أحاول الهروب من المكان فقط، فهناك مَن يُضمر لنا شرًّا.

فتلفتت «هدى» حولها في ريبة وهي تقول: وهل تخلصنا منهم؟

تنفَّس «أحمد» في راحة ثم قال لها: تقريبًا.

وهنا انفجرت مفاجأة لم يتوقعها أحد منهم حين قالت: لا أظن أننا تخلصنا منهم؛ فهناك سيارة تتابعنا منذ غادرنا المخيم.

فسألتها «إلهام» في دهشة: وكيف عرفتِ أنها تتابعنا؟

– لأن قائدها يحاول ألا يكون قريبًا منا رغم أننا لا نسير بسرعة كبيرة.

وضع «أحمد» يده على عصا ناقل الحركة وهو يقول: سنرى!

طلقات وانفجارات!

وبوضع قدم على بدال السرعة وأخرى على الفرامل؛ صرخت الفرامل صرخة عالية وقفزت السيارة في الهواء، وفي انحراف حاد دارت حول نفسها، فأصبحت تواجه السيارة التي تراقبهم، فانطلق بها في اتجاه السيارة حتى كاد أن يصدمها لولا أن قائدها انحرف بها بشدة مما أفقدها توازنها فانقلبت على ظهرها كالسلحفاة، وما أن توقف «أحمد» بسيارتهم على جانب الطريق حتى غادرها «عثمان» قفزًا، وأكمل الطريق جريًا إلى السيارة المقلوبة، وقبل أن يصل إليها أصابته قذيفة مدفع إصابة مباشرة؛ فانفجرت وتحولت إلى كتلة لهب هائلة، فتسمر مكانه مذهولًا إلى أن سمع نداءً ملحًّا من سارينة سيارتهم، فالتفت فوجدها تقف على بُعد أمتار منه، ورأى «أحمد» يشير له ليسرع بالركوب، ولم تمضِ لحظات إلا وكان بجواره يسأله عن وجهته، فقال له: أبحث عن مصدر هذه القذيفة.

فتلفَّت «عثمان» حوله وهو يقول: إن كان المكان خاليًا تمامًا.

فانحرف بالسيارة بشدة وهو يقول له: وهل أتت هذه القذيفة من السماء؟

ومن خلفه قالت «إلهام»: هل تظن أن مصدرها متحرِّك؟

فقال لها في ثقة: بل أنا متأكد، فهناك سيارة أخرى لجماعة «سوبتك» تختبئ الآن في مكان ما. فانفعل «عثمان» وقال في «حماس»: وكيف لم نسمع لمحركها صوتًا؟!

وهنا قالت «هدى» مستنتجة: لأننا كنا مشغولين بالسيارة الأخرى.

وقال «أحمد» موافقًا على كلامها: وأثناء الانفجار اختفت هذه السيارة، لكنها لم تبتعد كثيرًا عن هنا.

وفجأة أُطفئَت أنوار السيارة الداخلية والخارجية، وقال لهم هامسًا: سنغادر السيارة دون صوت، ثم ندفعها بهدوء بعيدًا عن هنا. ما رأيكم؟

لم يتفوه أحد بكلمة؛ بل نفذوا ما طلبه منهم بدقة، وغادروا السيارة دون صوت وأغلقوها أيضًا دون صوت، حتى الأبواب وافقت على أن تنغلق في هدوء تضامنًا معهم، وعلى الرمال قاموا بدفعها، فانزلقت معهم في نعومة، وكان الطريق منحدرًا؛ فاندفعت وحدها تكمل النزول حتى فقدت قوة اندفاعها وتوقفت، فهَمَّ الأصدقاء أن يدفعوها مرة أخرى؛ إلا أن «أحمد» أشار لهم بالتوقف؛ فقد سمع عن بُعد صوت محرك سيارة يتأرجح بين الدوران والتوقف، فقال هامسًا: لقد تعطلت سيارتهم.

أخرج «عثمان» كُرته الجهنمية، وطوَّحها في الهواء، وقبل أن يلتقطها قال لهم: إنها فرصتي لاصطيادهم.

وعلى أصابع قدمها اليمنى دارت «إلهام» مطوِّحة اليسرى في الهواء، وكأنها تسدد ضربة شرسة إلى مَن يبارزها؛ ثم قالت: ليست فرصتك وحدك.

فابتسمت «هدى»، وهي تشد حزامها على وسطها وسألتهم قائلة: هل تستأثرون بهذه المتعة وحدكم؟

وهنا قال «أحمد» ضاحكًا: ستكون كارثة لو لم تجدوا أحدًا تبارزونه.

وفجأة صفَّرت كرة «عثمان» وهي تحتك بالهواء منطلقة كالصاروخ لتغيب في الظلام.

وقبل أن تعود سمعوا فرقعة عظام تتكسر ... وصرخة مكتومة ... وجسدًا ضخمًا يسقط على الأرض.

وقبل أن يفيقوا من صدمتهم كان «مصباح» يقفز في الهواء مسددًا بقدمه اليسرى ضربة شرسة لرأس رجل أسود ضخم طوحته في الهواء، وقبل أن يسقط كانت قدمه اليمنى قد عاجلته بضربة أخرى في صدره، أوقفت الهواء في حلقه.

وتحول المكان بعدها لساحة معركة، فقد دارت «إلهام» ثلاث دورات متتابعة على أصابع قدمها اليمنى قبل أن تسدد باليسرى، وهي تسدد ضربة قاتلة لرجل أشقر في حجم الديناصور.

وقبل أن يسقط الرجل على صدره كانت قدم «هدى» تطوِّحه في الهواء ليسقط على ظهره، ثم قالت: هكذا يمكن رؤيته.

وقبل أن يتفرغوا من معركتهم كانت سيارة «فان» سوداء تندفع في اتجاههم بسرعة مجنونة، فقفزوا بعيدًا عن طريقها قبل أن تدهمهم.

وما أن اعتدلوا حتى تدفق عليهم وابل من طلقات الرصاص تصفر حول آذانهم يمينًا ويسارًا، فانبطحوا مرة أخرى على الأرض؛ وصفير الرصاصات من حولهم لا ينقطع؛ حتى ابتعد صوت محرك السيارة وساد المكان هدوء مريب، فانتفضوا واقفين في حذر، وما أن

تلفتوا يبحثون عن سيارتهم حتى دوَّى صوت انفجار مجنون، وأضاءت ظلمة المكان من حولهم كتلة لهب حمراء.

وصرخت «إلهام» تقول: إنها سيارتنا!

فقال «أحمد» يهدئ من روعها: لا تجزعي هكذا.

فعقبَّت «هدى» قائلة: إن بها جميع أجهزة الاتصال والكمبيوتر المحمول.

فقال «عثمان» يطمئنها: ولكن ليس بها ساعاتنا.

جلس «أحمد» مكانه، وقال لهم: اجلسوا؛ فنحن نحتاج لبعض الراحة كي نستطيع مواجهتهم.

فقالت «إلهام» في شراسة: وهل سيعودون مرة أخرى؟

فعقَّب «عثمان» رافعًا يده إلى السماء: يا ليتهم يعودون!

وفهموا جميعًا قصده، فأخرجوا أسلحتهم من أجربتها، وقاموا بتجهيزها استعدادًا للاستيلاء على السيارة «الفان» السوداء.

ولكن ليس كل ما يتمناه المرء يدركه؛ فقد طال الوقت وانتصف القمر في السماء ولم يعودوا.

فقرر الشياطين مغادرة المكان، ولكن إلى أين؟

قال «أحمد»: إن كانوا يراقبوننا منذ مجيئنا إلى هنا؛ فهم يعرفون بأمر اليخت والغواصات الشخصية الخاصة بنا، وأرجِّح أنهم في طريقهم إليها.

فقال «عثمان» في قلق: إن لديهم سيارة وسيصلون قبلنا.

وهنا تدخلت «هدى» الخبيرة ببلدها فقالت: هذا إن ذهبنا عن طريق البر.

فقال لها «أحمد» متسائلًا: ماذا تقصدين؟

فأجابته قائلة في حماس: سنذهب سباحة؛ وبهذا نختصر أكثر من نصف المسافة.

فقالت «إلهام» تحذرهم: لا تنسوا أننا في الليل؛ والمياه الآن باردة للغاية.

فقال لها «أحمد»: هل لديك حل آخَر؟

لم يكن لدى «إلهام» حل آخَر؛ لذا قبلت ما اقترحته «هدى» مضطرة، وسارت معهم صامتة حتى وصلوا إلى مياه المتوسط، وهناك شعروا بالدفء.

وقال لهم «عثمان» معلقًا على ذلك: إن مياه البحر تخترق حرارة الشمس في النهار وتبثها في الليل؛ فتجعل الجو أكثر دفئًا بجوارها.

وكان «عثمان» أثناء ذلك يخلع ملابسه استعدادًا لنزول الماء.

لذلك علَّق قائلًا: أكثر دفئًا، أكثر سخونة، لم يعُد لدينا حل آخَر.

ومع آخِر كلمة نطق بها كان يقفز في الماء، وفي اتفاق سريع لحق به «أحمد» تاركًا «إلهام» و«هدى» و«مصباح» بجوار ملابسهم.

وبعد فترة من السباحة في عمق المياه ... توقف «عثمان» حتى لحق به «أحمد» ... ثم سأله قائلًا: إلى أين؟

السباحة في الجحيم!

أضاءت الساعة في يد «أحمد» تحت الماء، وبضغط بعض الأزرار بها تحولت إلى بوصلة، وبإجراء بعض التعليمات عليها أضيئت شاشتها بضوء أحمر متقطع، وظهر في وسطها سهم أزرق يظهر ويختفي ... فعلق قائلًا في نفسه: سنسبح في اتجاه السهم.

ثم أشار لـ «عثمان»، وما أن ضرب المياه بذراعيه بقوة حتى فعل «عثمان» مثله ... وانطلقا يسابقان الزمن للوصول إلى يختهما قبل أن يصل أعوان «سوبتك» إليه.

ورغم برودة المياه سرى الدفء في أوصالهم، فشعروا أن المياه دافئة، ثم شعروا أنها أكثر دفئًا، فحفزهم ذلك على مواصلة التجديف بحماس وقوة مخترقة المياه في سرعة قياسية. ولم تمضِ دقائق إلا وازدادت سخونة المياه حولهم بصورة لم تعُد مقبولة، فقد بدءوا يختنقون من كثرة تدفق السوائل في قصباتهم الهوائية ... وبدأت كل عملياتهم الحيوية تختل من جراء ارتفاع درجة الحرارة، ومع غزارة العرق المتصبب منهم شعروا بالإجهاد لقلة السوائل في أجسادهم، فتوقفوا عن التجديف، وما أن طفَت رأساهما على سطح الماء؛ حتى تخلص «أحمد» مما في فمه من ماء، وكذلك فعل «عثمان» قبل أن يقول له: علينا أن نخرج من هذه المنطقة فورًا.

فالمياه تزداد سخونة كلما توغلنا فيها، وقد تصل إلى درجة الغليان فنهلك.

فأجابه «أحمد» وهو يلهث: وهل سنعود مرة أخرى ونخسر كل المسافة التي قطعناها وكل الجهد الذي بذلناه؟

فصاح «عثمان» قائلًا في دهشة: وهل لديك حل آخَر؟

فقال «أحمد» في ثقة: بالتأكيد هناك حلٌّ آخَر، وعلينا ألا نستسلم بسهولة.

واستلقى «عثمان» على ظهره فوق الماء، ومثله فعل «أحمد» وهو يقول: قد يدفعك دفء السرير للنوم.

ضحك «عثمان» وعلَّق قائلًا: بل قد يدفعك لشيء آخَر.

فهم «أحمد» ما يعنيه «عثمان»، وانطلق الاثنان يضحكان في قوة، وتردد صوتهما في فضاء المكان، وفجأة انتبها على أصوات بعض الأجنحة ترفرف خلفهما بقوة، وشعروا بهواء بارد يضرب أجسادهم، فاستداروا يستطلعون الزائر؛ فرأى «عثمان» طائرين عملاقين من طيور البحر، فصاح قائلًا لـ «أحمد»: ليست معنا أسلحة يا «أحمد» فهل نغوص؟

فاعترض «أحمد» قائلًا: سيصطادونك من تحت الماء مثلما تصطاد الأسماك.

أخذت الطيور تهبط وتعلو وهي تضرب الهواء بأجنحتها الضخمة بقوة، فصاح «أحمد» قائلًا: إنها تبرد الماء بهذا الهواء البارد الصادر عن رفرفتها؛ إنها عناية الله يا «عثمان».

فقال «عثمان» في قلق: أتعني أن نستمر في السباحة إلى اليخت، وفي قوة وثقة أجابه «أحمد» قائلًا: نعم وسيتابعوننا.

ولم يُضيِّع «عثمان» وقتًا، بل دار حول نفسه، ثم ضرب الماء بذراعيه بقوة وانطلق يسبح وهو يقول له: أشعر أننا سنكون طعامًا سهلًا لهذه الطيور.

فقال له «أحمد» من بين لهاثه: يا رجل؛ إنها تأتنس بنا، فهي طيور اجتماعية، ألم ترَها وهي تشارك البحَّارة طعامهم على المركب في رحلاتهم الطويلة؟

واصل «عثمان» عومه وهو يقول: أتمنى ذلك من كل قلبي، ولكن الماء ازداد سخونة، ولم تعُد تجري رفرفة الطيور يا «أحمد» فماذا نحن فاعلون؟

فسأله «أحمد» قائلًا: ألم تسأل نفسك ما سبب سخونة الماء؟

ودون تفكير قال «عثمان»: قد تكون طبيعة المنطقة، أو ... أو هناك شيء ضخم مشتعل فوق الماء؟

فأكمل «أحمد» الاستنتاج قائلًا: مثل اليخت مثلًا؟

صاح «عثمان» في جزع: يا لهم من مجرمين! كيف يجرءون على فعل ذلك؟! إنها أخلاق عصابات حقًّا.

كان الهواء الصادر عن رفرفة الطيور يساعدهم على التقاط أنفاسهم مما ساعد «أحمد» على استكمال الحديث قائلًا: نحن حتى الآن نخمِّن ... وقد يكون هناك سببٌ آخَر لسخونة الماء، كاشتعال بقعة البترول مثلًا.

توقف «عثمان» تمامًا عن السباحة عندما سمع هذا التصور من «أحمد»، فهو تصور أكثر واقعية من غيره ... فلن ترتفع سخونة الماء لهذه الدرجة، وعلى هذا الاتساع لمجرد أن يختًا ... قد اشتعل ... لا ... فمن المؤكد أنها بقعة الزيت المتسرب من الناقلة العملاقة.

إنه الجحيم بعينه أن تشتعل هذه البقعة؛ فهي في حجم الجزيرة الصغيرة، وقد تظل مشتعلة لأيام ولا تنطفئ قبل أن يغلي الماء تحتها وحولها، وهذا يعني أننا هالكون لا محالة، إذا لم نعُد بأقصى ما لدينا من سرعة، فدرجة حرارة الماء آخِذة في الارتفاع، ويبدو أن بقعة الزيت المشتعلة تتحرك في اتجاهنا.

وقبل أن يبلِّغه «أحمد» بما قرره، سمع عن بُعد صوت محرك يخت يقطع الصمت من حولهما ويقترب منهما في سرعة، ولم تمضِ دقائق إلَّا وكان الظلام من حولهما قد استحال نهارًا، عدا كشَّاف ضخم يطل من على سطح يخت متوسط الحجم، ولم يرَ عليه أية إشارة تدل على أنه يتبع منظمتهم، أو أية جهة أمنية أو وطنية؛ فعرف أنه تابع لعصابة «سوبتك» وأن هذا الكشاف لو سُلط عليهما فستكون نهايتهما.

وعندما نظر إلى «عثمان»، رآه ممسكًا بكرته الجهنمية في وضع الاستعداد، فعرف أنه يفكِّر فيما يفكِّر فيه.

ولم تمضِ لحظات إلا وانطلقت الكرة كالصاروخ الموجَّه، ولحُسن حظها وحظ الشياطين كان الكشَّاف يستدير في اتجاهها؛ فاصطدمت به صدمة أطاحت بزجاجه ومصباحه، وعلا في الهواء صوت تحطمهما، وأظلمت الدنيا مرة أخرى حولهما مما أثار أعصاب عملاء «سوبتك» فأسرعوا يطلقون نيران مسدساتهم هنا وهناك في جنون … وصرخ في محرك اليخت صرخة عالية، وانطلق يدور في حلقات حولهما، فصنع دوامات مائية قاتلة جذبتهما إلى القاع وهما يتخبَّطان في بعضهما وأنفاسهما تتلاحق.

وفي العمق وجدوا الماء باردًا، وأكثر استقرارًا، فقرروا السباحة إلى اليخت، ومرة أخرى استعان «أحمد» بساعته الإلكترونية ذات المعالج فائق التطوُّر، وقام بتحديد اتجاه حركتهما، غير أنه رأى «عثمان» يسبح في فزع صاعدًا إلى سطح الماء، ومثله فعل هو الآخَر؛ فقد اختنق من قلة الأكسجين.

وما كادت رأسهما تطفوان فوق سطح الماء حتى مرقت رصاصتان تصفران بجوار أذنيهما، وشعرا أنهما هالكان لا محالة، فتحتَ سطح الماء لم تعُد لديهما طاقة لاحتمال قلة الأكسجين، وفوق الماء يترصدهما أعوان «سوبتك»؛ فرفعا أيديهما مستسلمَين، ومن حولهما طارت الرصاصات تصفر هنا وهناك قبل أن تصطدم بالماء وتقول: بلوب!

ثم شاهدا إطارَين كاوتشوك منفوخين ومربوطين في حبل، يتطوحان في الهواء ويسقطان بجوارهما، فأمسكا بهما، حتى قام بحَّارة اليخت بسحبهما إلى أن وصلا إلى سلم حديدي مثبَّت على جدار اليخت الخارجي، فأمسك به «عثمان» وصعد درجة إلى أعلى

ليخلي الدرجة السفلية لـ «أحمد»، الذي فهم ما يقصده «عثمان» فأمسك بدرجة السلم ... وتشبث بها ... ومكث صامتًا دون حركة، وكذلك فعل «عثمان»، مما آثار رجال «سوبتك»، فصاحوا ينادون عليهما، وعلا صياحهما ... وعمَّت الفوضى سطح اليخت ... وارتفعت أصوات أقدام تجري هنا وأخرى تجري هناك وبصوت هامس قال «عثمان» لـ «أحمد»: «أحمد» هل تسمعني؟

أحمد: نعم.

عثمان: هناك مَن ينزل السلالم التي نقف عليها!

المفاجأة!

عندها هبط عميل «سوبتك» سلالم اليخت، لم يرَ عليه أحدًا فأين «أحمد» و«عثمان»؟

لقد تبع الرجل رجلًا آخَر يشبه الدولفين، كان جسده يترجرج وهو يهبط درجات السلم في بطء حتى سمع جلبة تحت الماء، فأضاء كشافًا يمسك به وسلَّطه على أسفل السلم ثم على الماء فلم يرَ شيئًا، ثم سمع الجلبة تأتي من مكان آخَر، وعندما سلط عليه الكشاف رأى ذراع زميله ترتفع من تحت الماء ثم تهبط، كأنه يحاول التخلُّص من شيء يقبض عليه ويجذبه لأسفل، فأصابه الخوف، وصرخ مناديًا زملاءه في إلحاح، لكن صوته ضاع وسط هدير الأمواج، فأخرج مسدسه وصوَّبه تجاه المكان ثم أطلق رصاصة سمع معها صرخة مكتومة، ثم رأى الماء يتلوَّن باللون الأحمر، وبعدها رأى جثة زميله تطفو فوق الماء ... لقد قتله من شدة خوفه ... فاستدار يصعد السلم عائدًا إلى سطح اليخت ... غير أنه صرخ خوفًا عندما شعر بيد تمسك به من قدمه ... فنفض قدمه في فزع ... وكانت درجات السلم لزجة من أثر الماء فانزلق عليها ... وسقط صارخًا بين أيدي وحش لا يرحم.

وظل يقاوم فيطفو فوق الماء للحظات وهو يصرخ ... ثم يعود فيغوص وهو ينتفض في هيستريا ... حتى خارت مقاومته فاستسلم لقدره ... وابتلع من الماء ما ملأ معدته ورئتيه ... فمات مختنقًا ... وطفت جثته بجوار زميله.

أخيرًا خرج الوحش الرهيب من تحت سطح الماء ... فتعلق بدرجات السلم، ومن خلفه خرج وحش آخَر ... إنهما «عثمان» و«أحمد»، لقد علقت بهما طحالب القاع ونباتاته ... وبقايا أصدافه ... فأكسبتهما مظهرًا مرعبًا ... وقبل أن يبلغا سطح اليخت سمعا رجلين يتكلمان ... فوقفا ينصتان في هدوء ... فسمعا أحدهما يقول: هل نتخلص منهما؟

فأجابه زميله قائلًا: لا، لا؛ دعهما الآن واقفين مكانهما وأنا أراقبهما.

فعاد زميله يقول: لكنهما سيموتان من البرد.

فأجابه قائلًا في سخرية: وهذا ما نريده.

ما أن سمع «عثمان» هذا حتى تدلَّى برأسه وقال لـ «أحمد» هامسًا: إنهم يروننا.

فعلَّق «أحمد» في شك قائلًا: هل تظن ذلك؟

فقال «عثمان» متسائلًا: ألم تسمعهما؟

ضم «أحمد» شفتَيه متعجِّبًا، وقال له: أشك أنهم يقصدوننا بهذا الحديث.

فقال «عثمان» في انفعال خافت: هل لديك سبب لهذا الشك؟

فقال «أحمد» يهدئه: نعم يا صديقي؛ إنهما لم يسألا عن زميلهما وقد خرجا في أثرنا.

فسأله «عثمان» في حيرة: إذَن عمَّن يتكلمون؟

وهنا وضع «أحمد» يده على فم «عثمان» وهو يقول: انظر إلى بقعة الضوء في كابينة القيادة.

فسأله «عثمان» في شغف: أتقصد أنها تشبه كابينة يختنا؟

فزمجر «أحمد» قائلًا: إنه لا يشبهه، إنه هو.

فلتت من «عثمان» صيحة دهشة وخوف وهو يقول: المجرمون! كيف وصلوا إليه؟ وأين حرَّاسه؟

فقال «أحمد» في أسى: إنهما واقفان الآن في مكانٍ ما متعرضان لبرد قاتل ... هكذا قال الرجل لزميله ورغم الإجهاد الذي يشعر به ...

قال «عثمان» مندفعًا في حماسه: يجب أن نتدخل، فالعملية كلها تتوقف الآن على هذا اليخت.

فأشار «أحمد» ليلزم الحذر، ثم قال هامسًا: علينا أن نصل إلى الفقاعات الزجاجية فعن طريقها يمكن أن نحارب ونطارد.

فأومأ «عثمان» موافقًا ثم قال: دعني وسوف أتصرف.

وفي رشاقة الفهد ... قفز فوق سطح اليخت ... ثم جرى محاذيًا لسوره الخارجي حتى بلغ السلم الواصل إلى غرفة المحركات، فهبط درجاته في حذر، و«أحمد» يراقبه عن بُعد شاهرًا مسدسه حتى غاب عن عينيه.

ووسط ضجيج المحركات تحرك في حرية ... فلم يسمع أحد هنا وقع خطواته ... وعبر ممرًّا جانبيًّا تمكن من الوصول إلى باب القبو ... الذي يحوي الفقاعات، فقام بمعالجة قفله الإلكتروني؛ فانفتح له عن آخِره، فنام على أرضية المكان ثم تدلَّى بنصفه العلوي داخل القبو؛ فلم يرَ إلا ظلامًا حالكًا، فأخرج الكشَّاف المعجزة من جيبه السري وضغط

على زر إضاءته فلم يعمل، فتوترت أعصابه، وحاول معه مرة أخرى، فلم يَنثنِ؛ فغمغم يقول هامسًا: هل أفسدك الماء؟

ثم قام بجسِّه فوجده جافًّا، فقال يطمئن نفسه: إني أحملك في جيب خاص لا يسمح بتسرب الماء، فماذا حدث لك؟

وفجأة صاح بصوت خافت قائلًا: أوه؛ لقد أغلقتك برقم سري بالأمس؛ لعلي أتذكره!

وفي هذه الأثناء كان قائد جماعة «سوبتك» على اليخت ... قد انتابه القلق لغياب زميلَيه، فنزل بنفسه يستطلع الأمر فلم يصادف أحدًا على السلم! فأين كان «أحمد»؟

لقد كان يقبع قريبًا من غرفة القيادة، ويدعو في نفسه لـ «عثمان» بالتوفيق.

وكان «عثمان» قد استطاع إضاءة الكشاف، فشاهد الفقاعات الخمس تقبع على أرضية القبو في انتظارهم.

فتعلَّق بحافة القبو، وتدلَّى بجسمه لأسفل ... ثم تأرجح للحظات قبل أن يقفز بجوار إحداها.

ثم قام بفحصها واحدة تلو الأخرى فلم يجد بأحدها عطلًا ما، فقفز بداخل فقاعته وأصدر أمرًا إلكترونيًّا عن طريق ساعته، فانفتح تحت الفقاعة باب انزلقت منه إلى غرفة الاستعداد للانطلاق، ثم انغلق الباب مرَّة أخرى.

وبأمر ثانٍ انفتح الباب الخارجي وانزلقت الفقاعة عبره إلى أسفل اليخت وغمرها الماء، فشعر «عثمان» أن جسمًا ضخمًا قد اصطدم بها، وأن الفقاعة هي التي اصطدمت به، وعلى شاشتها رأى ثلاثة قروش منهمكة في التهام ضحية ما، فأسرع بمغادرة المكان قبل أن تلتفت إليه وقد أثارتها الدماء، ثم سأل نفسه قائلًا: تُرى مَن الذي تلتهمه القروش الآن؟

وصمت قليلًا؛ قبل أن يعود للحديث مع نفسه قائلًا: أوه؛ إنها جثث رجال «سوبتك»!

وما أن ابتعد لمسافة كافية حتى قام بالاتصال عبر ساعته بـ «مصباح»، إلا أنه لم يجاوبه، فأعاد الاتصال ولكن هذه المرة بـ «إلهام»؛ فلم يتلقَ ردًّا ... وكذلك «هدى» فانتابه القلق عليهما ... وفكر في الاتصال بـ «أحمد» غير أنه خشي ألَّا يكون في مكان مناسب لتلقي الاتصال، فاستدار بالفقاعة وقرَّر العودة إلى اليخت، فقد ترك هناك «أحمد» ولا يعرف إلى ماذا وصل؟

والمفروض أن يستعيدوا اليخت ويطردوا منه الغزاة الذين اختطفوه؛ لأن لديهم مهمة أخرى، هي المهمة الرئيسية؛ وهي إبعاد جماعة «سوبتك» عن ميدان عمل معدات سحب بقعة البترول المتسربة من ناقلة البترول الأساسية.

إذن يجب أن يعود ... ويعين «أحمد» على استعادة اليخت.

لذا فلقد انطلق عائدًا، غير عابئ بالقروش، وفي رأسه تدور ألف فكرة عن كيفية استعادة اليخت.

وما لم يحسب حسابه حدث؛ فقد تعطل محرك الفقاعة وهو غير مهيأ للبحث عن أعطال الآن، فإنه مجهد والوقت في غير صالحه، وليس لديه حل آخَر غير إصلاحها.

فقام بإدارة برنامج الأعطال في وحدة المعلومات الخاصة بها، فلم يصل معه إلى شيء مما أثار حنقه، فقام بخلع نفسه منها وفي نيته أن يتركها ويعود سباحة إلى اليخت.

وبالفعل؛ فعل ذلك، وما إن ابتعد عنها حتى رآها في صحبة أحد يسحبها.

أربع فقاعات!

لم يفكر «عثمان» في استعادة الفقاعة ... واستكمل سباحته إلى اليخت ... غير أنه شعر أن الفقاعة تطارده ... فنزل إلى القاع ... وجلس ساكنًا للحظات ... وجد نفسه بعدها محاطًا بثلاث فقاعات؛ فتساءل بينه وبين نفسه قائلًا: كيف ذلك وهذه الفقاعات غير موجودة إلا عندنا في المنظمة؟!

الْتفتَ ينظر إليها في حذر؛ فرأى أجمل ما رأى في حياته، رأى «مصباح» و«إلهام» و«هدى» بداخل فقاعاتهم وقد كانوا يجرون خلفهم فقاعته، فأشاروا له أن يركبها، فظن أول الأمر أنهم سيسحبونه بها غير أنه عندما ركبها وجدها دائرة، فشعر أن طاقته قد تجدَّدَت، فصعد معهم إلى سطح الماء، وعن طريق البوصلة الإلكترونية المزودة بها الفقاعة تمكنوا من تحديد موقع اليخت، وعندما رفعوا جميعًا إبهامهم إشارة لاكتمال استعدادهم صفرت المحركات، وانطلقت الفقاعات تشق سطح الماء، وتطلق من حولها فقاعات صغيرة.

انطلقت الفقاعات مرَّة أخرى ولكن هذه المرة بدون «أحمد».

انطلقت الفقاعات وقد أصبحت بداخل العملية.

لقد مر ليل طويل وهم في مطاردات ... وها هو النهار يرسل خيوطًا رفيعة من الضوء والليل ينسحب في هدوء تاركًا وراءه مياه البحر المتوسط، فنظروا إلى بعضهم.

وقالت «إلهام»: من أين هذا الصوت؟

فقال «مصباح» مستنتجًا: إنه مكبر صوت.

عادت «إلهام» تقول: أعرف أنه مكبر صوت، ولكن من أين؟

فقال «عثمان» مستنتجًا أيضًا: لقد اقتربنا من اليخت، وهم يروننا عبر التلسكوب.

لم يتوقف الشياطين، بل استكملوا زحفهم ... فأتاهم الصوت مرة أخرى يتحدث بالإنجليزية: توقفوا مكانكم وإلا ستكون نهايتكم.

لم يبدِ أحد من الشياطين رغبة في التوقف، بل استمروا في التقدم.

وعاد الصوت راكبًا الهواء يقول: هذه ثالث وآخر مرة نقولها؛ توقفوا مكانكم، وإن لم تتوقفوا خلال دقيقة سندمركم.

وبدأ العد من ستين ثانية ثم تسع وخمسين، والفقاعات الخمس تشق الماء والهواء وتقترب من اليخت ... حقًّا هو لم يظهر لهم حتى الآن ... ولكنهم في الاتجاه الصحيح.

وواصل الصوت عده التنازلي، ولم يبقَ له على الانتهاء غير خمسة أعداد.

أربعة ... ثلاثة ... اثنان ... واحد ... صفر ... و...

ولمعت في سماء المكان قذيفة كانت تصفر وهي في طريقها إليهم.

إنها قنبلة ذكية ... فعندما تخطتهم استدارت عائدة إليهم.

وهنا صاح «عثمان» قائلًا: أوقفوا عمل كل الأجهزة الإلكترونية حتى ساعاتكم.

وفي لحظات ... كان كل شيء قد توقف عن العمل ... وعن إصدار إشارات كهرومغناطيسية يمكن للقنبلة تتبعها ... لذلك لم تتوقف عندهم ... بل انطلقت عائدة من حيث أتت.

وهنا قالت «إلهام»: لقد رددنا إليهم هديتهم.

وقبل أن يضحكوا لهذه النكتة قال «عثمان»: قد تنفجر في يختنا.

ودوَّى في الأفق صوت انفجار مهول، كان إيذانًا للشياطين بالتحرك مرة أخرى في اتجاه اليخت ... وكلهم خوف من أن يكون هذا الصوت لانفجار اليخت.

غير أنهم عندما سمعوا الصوت يحذرهم مرة أخرى من الاقتراب ... صاحوا في راحة ... لأن اليخت و«أحمد» بخير.

وكان الصوت هذه المرة أكثر صرامة ... وأكثر شراسة، وقد صرح بما ينوون فعله ... فقد قال لهم: سنطلق عليكم طوربيدًا إن لم يتوقفوا ... وهذا بالطبع لن يخطئكم.

وشعر «عثمان» أنه جاد في تهديده ... فله سابقة في هذه القنبلة الذكية التي وصفوها بالغباء ... فأمر زملاءه بالتوقف.

غير أن «هدى» أفزعتهم حين صرخت قائلة: خيانة ... خيانة.

ثم أشارت بيدها إلى مكان بعيد ... وعندما نظروا إلى ما تشير إليه رأوا جسمًا يسبح فوق الماء في اتجاههم ... فقال «مصباح»: إنها محققة؛ فقد تكون قنبلة أو طوربيدًا سطحيًّا.

فصاح فيهم «عثمان» قائلًا: تفرقوا.

وفي لحظات كانوا يفسحون الطريق لهذا الجسم السابح إليهم ... ومرة أخرى سمعوا الصوت يناديهم قائلًا: نرجو التقاط مكبر الصوت الذي أرسلناه لكم.

ولم ينتظره «عثمان» أن يكرِّر النداء ... بل اندفع مكبر الصوت قبل أن يستكمل اندفاعه ويضيع ... وعلق «مصباح» قائلًا: ظننناك قنبلة.

وعاد الصوت يقول: هل استعدت التقاطه؟

فأمسك «عثمان» به وضغط زرًّا على يده وقال: ها هو معي ... ماذا تريدون؟

فتحدث الصوت يعرفه بنفسه: أنا «شارل» ... وما اسمك أنت؟

وقرر «عثمان» ألا يخبره باسمه ... فقال له: أنا «بدر» ... من أين تتحدث؟

فقال «شارل» في حزم: لا يهمك ذلك ... لكن أخبرني ماذا تفعلون هنا؟

نظر الشياطين لبعضهم في دهشة وكبرت لديهم علامة الاستفهام إلى درجة أوقفت تفكيرهم ... وفكر «عثمان» أن يغير من أسلوبه معهم ... فقال: مستر «شارل» ... ما المطلوب منا؟

وبصوت يشبه الود قال له: أن تسلموا أنفسكم الآن ... ونعدكم أن نتفهم ظروفكم!

فقال «عثمان» في استسلام: وأين أنتم؟

لم يجِبه «شارل» على تساؤلاته ... فمن الواضح أنه طرح الأسئلة فقط ... لذلك قال له: سنحضر نحن لاصطحابكم. ولم تمضِ دقائق إلا وكانت سفينة حربية تشق الأمواج مقتربة منهم.

فقالت «هدى» في قلق: سيشاهدون الفقاعات الزجاجية.

فأكمل «مصباح» قائلًا: لن يتركوها ... ولن يتركونا نأخذها مرة ثانية.

وهنا قالت «إلهام» محذرة: إنها تحوي أسرارًا وتكنولوجيا تخص المنظمة وحدها ... فما العمل؟

وفي سرعة قال «عثمان»: طبعًا تذكرون الأوامر والتعليمات جيدًا؟

فقالوا جميعًا في صوت واحد: نعم نذكر.

فقال في أسف: نحن مضطرون لذلك.

فأجابوا في صوت واحد: ونحن موافقون.

اللقاء المثير!

توقفت السفينة بجوار الشياطين ... ونزل منها سلم ميكانيكي ... فنظروا له في تردد، فقال لهم «شارل» في حزم: أرجو أن تصعدوا.

فقال له «عثمان» في تساؤل: ومركباتنا؟

فأجابه «شارل» قائلًا: لا تشغل بالك بها.

فصاح «عثمان» يقول في سخرية: وكيف لا أشغل بالي بها وقد كلفتنا الكثير؟!

فصاح «شارل» في حزم وفي نفاد صبر قائلًا: لم تعُد لكم هذه المركبات ... فأنتم لا تقدرون حرج موقفكم ... وأرجوكم سرعة الصعود ... والضغط على بعض الأزرار في وحدة الإدارة المنطقية للفقاعات ... توقفت محركاتها ... وبدأ العد التنازلي لأمر خطير لا يعرفه إلا هم.

ولم تمضِ دقائق إلا وكانوا يقفون فوق سطح السفينة يشاهدون ونشًا ضخمًا يرفع فقاعة تلو الأخرى، وما أن انتهوا حتى أطلقت السفينة سرينتها ... ثم انطلقت تتحدى الأمواج والرياح ... ومشاعرهم ... نعم إنها تتحدى مشاعرهم.

فحتى الآن لا يعرفون لماذا قُبض عليهم ... وإلى أين سيذهبون ... لم يسمح أحد لهم بالسؤال ولا بالتفسير ... ولا بطلب العدل وهو حقهم ... فمن حقهم أن يعرفوا ما جريمتهم! فهل يتركون جماعات «سوبتك» تخرب معداتهم، وتعطل جهودهم في إنقاذ مياههم الإقليمية وبيئاتهم البحرية من التلوث البترولي ... ويمسكونهم هم؟!

وجرب «عثمان» أن يتحدث مع مستر «شارل» فذهب إلى أحد الجنود البحارة وطلب منهم مقابلته، فقال له الجندي: هذا ليس من سلطتي ولا أستطيع التحدث معه في هذا ... يمكنك أن تطلب ذلك من الضابط «ريتر»، وأشار عليه ... فذهب إليه على الفور وطلب منه أن يأذن له في التحدث مع السيد «شارل» غير أن الضابط تجهم، ونظر نظرة قاسية

أثارت في نفسه روح التحدي، فتركهم جميعًا ونزل وحده السلم المؤدي إلى كابينة القائد، فلم يجد أحدًا في طريقه ... فحاول فتح أكثر من كابينة للبحث عنه فلم تنفتح له واحدة منها، فعرف أنها تنفتح ببطاقة مغناطيسية، عندما رأى بالباب فتحة دخول البطاقة ... فقرر أن يكشف أسرار المكان وألا يدع هذه الفرصة تفوته ... فعاد «عثمان» إلى زملائه وصرح لهم بما يدور في نفسه فقال له «مصباح»: لقد حضر أحد الضباط وسأل عليك، فقلنا إنك في دورة المياه، فأرسل مَن يتأكد من ذلك ... وخلال لحظات حضر الضابط مرة أخرى فرأى «عثمان» فبادره قائلًا: أين كنت؟

فكر «عثمان» سريعًا ... ثم قال له: كنت أبحث عن دورة المياه.

فنظر إليه في شك وسأله مرة ثانية: وهل وجدتها؟

فأجابه في سرعة قائلًا: لا.

ولماذا لم تسأل أحد الجنود أو الضباط؟

فأجابه في ثبات: سألتهم ولم يدلوني.

فقال الضابط في سخرية: نعم أنت فعلت ذلك، ولكن لم تسألهم عن دورة المياه.

ثم نظر له نظرة اتهام قبل أن يكمل قائلًا: بل سألتهم عن كابينة القائد ... أليس كذلك؟

حاول «عثمان» التماسك ... وأدار عقله جيدًا قبل أن يقول له: نعم هذا حدث ... وعندما لم يساعدني أحدهم في الوصول إلى القائد ... لم أشأ أن أسألهم على شيء بعد ذلك.

فقال له الضابط: من فضلك قف على قدم واحدة.

فقال له «عثمان» في حدَّة: لماذا؟

فانفعل الضابط وقام يتهدده: نفِّذ الأمر وإلا ألقيت بك مجروحًا للقروش.

شعر «عثمان» أنه ليس ضابطًا، وأنه جاد في تنفيذ تهديده، فرفع أحد ساقيه ... ووقف على الأخرى، ونظر في تحدٍّ.

فقال الضابط يسأله: ماذا كنت تريد من القائد؟

فنظر له «عثمان» دون أن يجيب ... فصرخ فيه يعيد عليه السؤال قائلًا: أجبني الآن ... ماذا كنت تريد من السيد «شارل»؟

فقال «عثمان» في هدوء: كنت أريد أن أعرف موقفنا معكم.

فسأله الضابط في تهكم: لا أفهم.

فقال «عثمان» موجهًا السؤال له: هل نحن معتقَلون؟

فقال الضابط في حزم: حتى الآن ... لا.

فبادره «عثمان» بسؤال «إلهام»: ولماذا إذن تأخذوننا معكم؟ وإلى أين؟

فقال الضابط في هدوء: لماذا ... لأنكم تسبحون في منطقة متنازع عليها وتحت إدارة الأمم المتحدة، إلى أين ... فهذا ليس من حقكم.

وأراد «عثمان» أن يثيره، فأنزل ساقه، ووقف معتدلًا يقول له: وكيف نكون غير معتقلين ونحن لا نعرف إلى أين تأخذوننا؟

وهنا صرخ فيه الضابط قائلًا: قف على قدم واحدة.

فلحقه «عثمان» قائلًا: وهل من حقك أن تعذبني؟

أمسك الضابط برقبة «عثمان» ثم دفعه بعيدًا، وسط مخاوف الشياطين من أن يتهور «عثمان» ويضربه.

ومرة أخرى ... دفع الضابط «عثمان» في صدره ثم دفعه مرة أخرى حتى أدخله إحدى الغرف المجاورة لكابينة القيادة ... ثم أغلق الباب ... وارتفعت أصوات اللكمات والركلات ... والاصطدام بالحوائط والسقوط على الأرض ... وتخلل ذلك انبعاث آهات مكتومة، كان الجنود يرون تأثيرها على وجوه الشياطين فيضحكون.

وأخيرًا ... انفتح باب الغرفة، وخرج «عثمان» ينفض يديه ... وما أن رآه الجنود حتى صاحوا مستنكرين ... وأسرعوا إلى الغرفة، وعندما خرجوا كانوا يحملون الضابط «ريتر» مغشيًّا عليه.

وارتفعت أصوات الجلبة فوق سطح المركب، والضابط ما بين مطالب ومعارض لتأديب «عثمان» إن لم يكن التخلص منه.

ولم تنتظر مجموعة منهم أن يصلوا إلى نتيجة ... بل أحاطوا بالشياطين وفي عيونهم يصرخ الشر، وما أن مد أحدهم يده ليمسك بـ «إلهام» حتى انهمك سيف يدها ليضربه تحت إبطه، فقفز عليها كالثور الهائج، فركلته بكل ما بقدمها من قوة ... فأكملت اندفاعه إلى سور المركز فتجاوزه، وهوى في الماء، مما آثار زملاءه، فانقضوا على الشياطين فكان جزاؤهم أن لحقوا بزميلهم الأول ... وعلا صراخهم، فقد شمَّت مجموعة من القروش رائحتهم ... فأتت تُمَنِّي نفسها بصيد ثمين.

وانشغل زملاؤهم الموجودون فوق سطح المركب في إنقاذهم، بينما حضر أحد الجنود إلى الشياطين يقول لهم: إن القائد يطلبكم.

فسأله «عثمان» في لهفة: وأين هو؟

– اتبعوني.

نظر الشياطين إلى بعضهم متسائلين، فرغم كل هذه الجلبة على سطح السفينة، ورغم ما يتعرض له الضباط في الماء، إلا أن القائد لا يهتم، ويهتم بأمرهم هم.

وعند كابينة يقف بجوارها أحد الضباط، تركهم الجندي وغاب بداخلها للحظات، ثم خرج وأشار لهم بالدخول، ثم أغلق الباب خلفهم وانصرف هو.

وفي الداخل كان السيد «شارل» يجلس خلف مكتبه ويعطيهم ظهره، وقبل أن يستدير لهم سألهم في وقار قائلًا: مَن منكم «عثمان»؟

فقال «عثمان» في ثقة: إنه أنا.

لم يلتفت السيد «شارل» ليراه؛ بل أكمل قائلًا: ماذا فعلت بالضابط «ريتر»؟

فقال «عثمان» مبررًا: لقد أهان كرامتي.

فقال القائد في هدوء: لا أفهم!

فقال «عثمان» في غضب: لقد ضربني بصورة مهينة.

فاستدار القائد وقال له: وهل لديك شهود على ذلك؟

فنظر له متعجبًا ثم قال: لقد أغلق عليَّ الغرفة، و...

فقاطعه القائد قائلًا في سخرية: لقد أغلقها على نفسه.

السقوط في جزيرة الجحيم!

عندما أرسل القائد يستدعي الضابط «ريتر» شعر «عثمان» بالأسى ... فهو لا يحب استثارة مشاعر الهزيمة عند أحد، وعندما دخل الضابط «ريتر» مطأطئ الرأس، أعطاه «عثمان» ظهره ... حتى لا يؤذي مشاعره، إلا أن القائد لم يرحمه؛ بل أمر «عثمان» في حزم أن يستدير ويواجهه ويضع عينيه في عينيه، ولم يستطع «ريتر» أن يرفع وجهه، فمد له القائد يده بخنجر أثار هواجس الشياطين، ووسط ذهولهم أخذه «ريتر» من يده وذبح به نفسه.

وصرخ «مصباح» قائلًا: ما هذه القسوة؟

فقال القائد مصححًا: إنها ليست القسوة ... إنه القانون.

وأثناء ذلك دخل الرجلان فحملا جثة «ريتر»، وخرجا بها، وما أن صعدا بها إلى السطح، حتى علت الجلبة واختلطت أصوات الرجال بين مُطالِب بقتل «عثمان» ومُطالِب بتفسير لما حدث ... وشعر الشياطين أن الوقت يجري، وأن عليهم تنفيذ خطتهم وإلا فسيتعرضون للموت ... فطلب «عثمان» من القائد الذهاب إلى دورة المياه.

وهناك قام بالاتصال بـ «أحمد» عبر ساعة يده، فأرسل له تقريرًا كاملًا عن وضعه الحالي وعما يجب أن يفعلوه، وتلقى منه تقريرًا مماثلًا، واتفقوا على الساعة صفر وهي لحظة البداية.

وعندما عاد «عثمان» إلى زملائه لم يكن القائد موجودًا، فقال لهم هامسًا: لقد تغلب «أحمد» على من باليخت، وهو الآن في طريقه إلينا.

فقالت «هدى» تسأله: وهل اتفقتم على خطة ما؟

فقال «عثمان» مؤكدًا: نعم حدث هذا ... والبداية الآن.

وفي نفس اللحظة دوَّى صوت انفجار هائل فوق سطح المركب، واشتعلت إحدى الفقاعات الزجاجية، فجرى كل مَن بالسفينة في اتجاه الانفجار، وكانت فرصة لأن يتسرب

الشياطين واحدًا تلو الآخر مغادرين السفينة، وحتى لا ينتبه إليهم أحد ... فقد دوَّى انفجار آخَر، واشتعلت ثاني الفقاعات الزجاجية.

وما أن صاروا تحت سطح الماء وبينهم وبين السفينة مسافة مناسبة، دوَّى صوت انفجار ثالث للفقاعة الثالثة فشُغل مَن بالسفينة عن ظهور يخت الشياطين، وكان يقوده «أحمد»، غير أن القائد تنبه لاختفائهم، فوجه كل مدافعه للماء، وأطلق وابلًا من الرصاص، فغطى به سطح الماء، وشعر الشياطين أن حياتهم في خطر، وأن «أحمد» لا يمكنه الاقتراب باليخت أكثر من ذلك.

وكان الأمل الوحيد لديهم هو انفجار رابع فقاعة على سطح السفينة، وقد حان موعده غير أنها لم تنفجر.

فشعر الشياطين أنهم في مأزق؛ فلا يمكنهم الاختفاء تحت الماء لوقت طويل، والسيد «شارل» لن يدعهم يفرون منه.

وأخيرًا قرروا العودة مرة أخرى إلى السفينة الحربية إلى أن يمكنهم إعداد خطة أكثر حنكة، ويحالفهم فيها التوفيق.

وبالفعل خرج «عثمان» من مكمنه رافعًا يده مستسلمًا، ويسبح بالأخرى في اتجاه السفينة ومن خلفه بقية زملائه.

وقبل أن يصلوا إليها أنزلوا لهم السلم الميكانيكي ... فتسلقوه صعودًا الواحد تلو الآخر، وعلى سطح السفينة كانت فرقة الإطفاء تحاول إطفاء الحرائق التي سبَّبها انفجار الفقاعات الزجاجية.

وعندما رآهم القائد فلم يعبأ بهم، بل انصرف ونزل السلم ذاهبًا إلى كبينته.

أما هم ... فقد مكثوا في حماية الجنود في أحد قوارب النجاة إلى أن أتاهم أحد الضباط يطلب منهم متابعته.

وعرفوا أنهم سيذهبون للقائد، ففكروا بسرعة، ليبحثوا عمَّا سيبررون به فعلتهم.

وما أن انفتح باب الكابينة ورآهم القائد حتى قال لهم: لماذا هربتم؟ هل أسأنا معاملتكم؟ لقد قتلت أحد ضباطي لأجلكم.

فأسرع «عثمان» يقول له مصححًا: أنت لم تقتله من أجلنا ... أنت قتلته من أجل ما فعلته به ... وقد قلت إن هذا هو القانون عندكم أليس كذلك؟

فقال له القائد: أنت مغرور أيها الشاب الأسمر.

فقال «عثمان» ينفي التهمة عن نفسه: لست مغرورًا لكنني أقول الحق.

فقال له القائد مهددًا: ألا تخاف الموت؟

فأجابه في لا مبالاة قائلًا: لا أخاف الموت ... بل أخاف الحياة.

فقرر «شارل» أن يجيبه إلى طلبه وقال له: لن أدعك تموت لكنني سأذيقك كل صنوف العذاب.

وفي هذه اللحظة ارتفع دَوِّي انفجار هائل، فقال القائد: لماذا تنفجر هذه الغواصات الصغيرة، هل بها قنابل زمنية؟

فأسرع «مصباح» يقول: وكيف نضع بها قنابل زمنية ونحن نعرف أننا نكون معكم على ظهر السفينة؟

وفي هذه اللحظة دخل أحد الجنود مهرولًا، ثم وقف مستقيمًا أمام القائد وهو يلهث: لقد اشتعلت النيران في غرفة المحركات.

خرج القائد يجري ومن خلفه الكثير من ضباطه وجنوده مصطحبين معهم الشياطين، وانتقلت فرقة الإطفاء بمعداتها إلى كابينة المحركات، وما أن تمكنت من التغلب على النار حتى حضر أحد الجنود وهو يجري، وما أن رأى القائد حتى وقف أمامه يحييه.

ثم قال: هناك كرة زجاجية تسبح على مقربة من السفينة.

فصرخ فيه القائد قائلًا: أين هي؟

فاصطحبه إلى مقدمة السفينة، وأعطاه المنظار، فدار به يمينًا ويسارًا حتى رآه، فصاح قائلًا: ها هو.

ثم نادى «عثمان» وسأله قائلًا: هل لكم قائد؟

فقال له «عثمان»: نعم.

وكان هذا جزءًا من الخطة، فقد أمر «شارل» البحَّارة بمغادرة الفقاعة وألا يدعها تغيب عن أنظارهم حتى يقبضوا عليها.

وكان لزامًا على الشياطين هذه المرة أن يغادروا السفينة دون رجعة، فهذا أهم وآخر جزء في الخطة.

وعندما وخزت «عثمان» رسغه، أشار بطرف عينيه لزملائه، فبدءوا ينسحبون واحدًا تلو الآخَر ... وقبل أن ينتبه أحد لهم كانوا قد غادروا السفينة ... والغريب أن أحدًا لم يكتشف غيابهم، وأن «أحمد» اقترب منه كثيرًا حتى تمكنوا من الصعود إلى اليخت.

وقد كان اللقاء حارًّا جمع بين الزملاء، ولم تتمكن «إلهام» من كبح جماح رغبتها في معرفة ما يدور الآن، فقال لها «أحمد»: إنهم يطاردون الفقاعة الزجاجية الخاصة بي، وهي تسير الآن بالتحكم عن بُعد.

فقالت «إلهام» معلِّقة: إنهم يريدون أن يقبضوا على القائد؟

فقال «أحمد»: هذا صحيح، وهي الآن قد توغلت في أكبر بقعة زيت تخلفت عن تسرب البترول في الناقلة.

فقال «عثمان»: لقد رأيت هذه البقعة، إنها في حجم جزيرة صغيرة.

وشعرت «هدى» أن في الخطة بقية شيقة، فقالت له: وهل الخطة أن تتركهم وسط بقعة الزيت؟

فقال لهم «أحمد» ضاحكًا: لا، بل سأقلبهم فيها.

ولم تفهم «هدى» ما يقصده «أحمد»، ولم يحاول هو أن يشرح لها؛ لأنها سترى كل شيء بعينيها.

وقال يسأل «عثمان»: هل كل أعوان «سوبتك» على ظهر السفينة؟

فقال «عثمان» في ثقة: نعم.

فقال له «أحمد» مسرورًا: الآن نقوم بتنفيذ آخِر جزء من الخطة.

وفجأة، اكتسى وجهه بجَلد شديد، ثم جلس خلف جهاز التحكم عن بُعد، فطرق بعض الأزرار، ودوَّى في الأفق صوت انفجار مهول، واشتعل مركز بقعة الزيت، وأخذت دائرة النار تتسع وتتسع ... وحاولت سفينة «سوبتك» أن تستدير لتعود من حيث أتت هربًا من جزيرة الجحيم، ولكن لم يعُد هذا يجدي، فقد اشتعلت فيها النيران من أسفل، ولم تمضِ دقائق، إلا وكانت تغرق شيئًا فشيئًا وسط ألسنة اللهيب المشتعل.

وصاح «عثمان» يقول مبهورًا: يا الله! إنها جزيرة مشتعلة!

فعلقت «إلهام» قائلة: إن أعضاء «سوبتك» سقطوا كلهم فيها.

فأكمل «مصباح» قائلًا: سيكملون حياتهم في جزيرة الجحيم.

فقالت «هدى» معلقة: لأول مرة نطلق الاسم على مهمة بعد أن تنتهي.

ثم سألت «أحمد» قائلة: هل أبلغت رقم «صفر»؟

«أحمد»: نعم قلت له، لقد انتهت عملية «جزيرة الجحيم» بنجاح، وهو يهنئكم.

هنـــداوي